المبحث الأول

الضرورة الشرعية لتحديد مفاهيم المصطلحات

تحديد المفاهيم في المصطلحات السائدة عموماً لاقت اهتماماً كبيراً في النصوص الشرعية في إطار الوحي الإلهي من كتاب وسنة، ضمن شبكة من التوجيهات التقعيدية (نظرية) وتطبيقاتها في نفس النصوص على شاكلة الإتيان بالقاعدة ثم التمثيل لها.

المطلب الأول: تحديد مفاهيم المصطلحات في القرآن الكريم

لا ريبَ في أنّ القرآن الكريم كتاب الله المنزّل، وهو كلامه سبحانه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وقد جمع القرآن الكريم ما يحتاجه الإنسان في حياته كلها من قواعد كليّة تضمن له التطبيق في الجزئيات، وقد حوى القرآن الآلاف من المسائل التي هي عماد التشريع في حياة الانسان إنْ أخذ به، ومن القضايا التي أهتمّ بها القرآن الكريم وجعل لها ضوابط مهمة هي قضية المصطلح والاصطلاح على كلمة تعبِّر عن مفهوم ضمن حقل مفهومي ينتمي إليه وفق إرادة رب العالمين كجزءٍ من توجيهاته سبحانه في القضايا التي أسّس لها في القرآن، وأكدها السنة النبوية الشريفة واستنبط منها العلماء الآلاف من المسائل التي تساعد المسلم في مواجهة صعاب الحياة ومشاكلها وتحدياتها الفكرية والعقلية والحضارية. و«لقد أولى القرآن الكريم عناية خاصة بالكلمة صناعة ودلالة وتوظيفاً، لا تزال تنبجس منها دلائل العظمة الإلهية وسماتها الإعجازية، ولا زالت تشد إليها عقول العلماء والباحثين باستمرار في كل زمان ومكان إلى اليوم. والقرآن الكريم حين يبدي هذه العناية المميزة بالكلمة (المصطلح)، إنما يؤسس لعلم المصطلح من حيث الصناعة والدلالة والتوظيف، كما أسس لكثير من العلوم منها الشرعية واللغوية والإنسانية والقانونية والاقتصادية والطبية والتكنولوجية وغيرها..»[1].

إنّ بعض التدبُّر في سور القرآن الكريم وآياته، نستخلص منه اتجاهين في مسألة الاصطلاح **فالاتجاه الأول**: وهو الاتجاه النظري التأسيسي (التنظيري) الإرشادي، حيث

---

(١) عمّار ساسي: **صناعة المصطلح في اللسان العربي**. ١٤٧.

يرشدنا سبحانه إلى كيفية التمييز بين الكلمات والمصطلحات الحسنة والمحمودة وبين الكلمات والمصطلحات السيئة والمنبوذة مفاصلةً بينهما كمفاصلته بين المؤمن والكافر.

أما **الاتجاه الثاني**: فهو الاتجاه العملي والتطبيق والممارسة، حيث يقوم القرآن الكريم بنفسه بتطبيق قواعده التنظيرية لعملية الاصطلاح، ونقصد بذلك قيام القرآن بعرض التفاصيل العملية في تغيير المصطلحات والكلمات غير المرغوبة فيها بأخرى مقبولة، أو تصحيح المفاهيم في الحوارات التي يتضمّنها القرآن الكريم مفاصلة بين مراد الإيمان في الكلمة الطيبة ومراد الكفر والنفاق في الكلمة الخبيثة. وسنفصّل فيما يأتي من الكلام حول هذين الاتجاهين بما يحويان من الآيات التي تضمّنتْ كِلا الاتجاهين[1]:

➢ **أولاً: - الاتجاه النظري التأسيسي (التنظيري)**

ونعني به التأسيس لقضية المصطلح وتقعيدها ووضع ضوابط كليّة بحيث يستنبط منها معالم التعامل مع المصطلحات عامةً والوافدة منها بخاصة، وقد حوى القرآن الكريم آيات إرشادية في هذا المجال نذكر منها:

١- في سورة إبراهيم الآيات ٢٤-٢٧ من قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾.

---

(١) إنّ هذين الاتجاهين في البحث يوازي العناية بالمسألة المصطلحية في إطار علم المصطلح ويراد بالعناية بالمسألة المصطلحية أمران موازيان للاتجاهين المذكورين، وهذان الأمران: أحدهما يتعلق بالقول النظري في المصطلح (وهو الاتجاه الأول فيما سنذكره)، وثانيهما بالسلوك اللغوي الوظيفي الذي يعكس مستوى الاهتمام بالمصطلح من حيث حجم ما يوظّف منه، وطبيعة ما يوظّف، وطريقة التوظيف، والمقاصد التي تحكم عملية التوظيف، والوعي بالخلفيات التي تؤطّر بالخلفيّات التي تؤطر ما يوظف (وهو الاتجاه الثاني الذي يشاركه في جوانب مهمة للأمر الثاني المذكور).
انظر: محمد أمهاوش: **قضايا المصطلح في النقد الإسلامي الحديث**. ٧٥.

فهذه أربع آيات تؤسّس لمسألة المصطلح وكيفية التعامل معه، رغم أنّ المفسرين القدامى قد ركّزوا كثيراً على المشبه به في الآيات (كشجرة طيبة...) و(شجرة خبيثة...) دون التركيز على المشبه (الكلمة الطيبة...) و(كلمة خبيثة...) فأوْلَوا الاهتمام كثيراً على الشجرة المشبه بها هل هي النخلة أم غيرها؟[1].

فالأَوْلى بنا -في مجال المصطلحات وقواعد ضبطها- أنْ نركّز على الجانب الكلّي في الآيات الأربع، ألا وهي مسألة الكلمة وحيثيات استخدامها والاصطلاح عليها.

يقول الزمخشري: «والكلمة الطيبة كلمة التوحيد، وقيل كل كلمة حسنة كالتسبيحة والتحميدة والاستغفار والتوبة والدعوة،.. والكلمة الخبيثة كلمة الشرك، وقيل كل كلمة قبيحة»[2].

وقد ذهب الأستاذ سيد قطب رحمه الله إلى أنّ الكلمة الطيبة هي كلمة الحق -وهي كالشجرة الطيبة، ثابتة سامقة مثمرة وثابتة لا تزعزعها الأعاصير، ولاتعصف بها رياح الباطل[3]، ولا تقوى عليها معاول الطغيان- وإنْ خيّل للبعض أنها معرّضة للخطر الماحق في بعض الأحيان[4]، سامقة متعالية، تطلّ على الشرّ والظلم والطغيان من علِ[5]. وإنْ خيّل إلى بعضهم أحياناً أنّ الشرّ يزحمها في الفضاء- مثمرة لا ينقطع ثمرها؛ لأنّ بذورها تنبت في النفوس المتكاثرة آناً بعد آنٍ..

---

(١) أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**. تحقيق: عبد الرزاق المهدي. دار الكتاب العربي، بيروت، ط٤، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م. الجزء التاسع، ٣٠٦. وانظر: الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير: **تفسير القرآن العظيم**. تحقيق: د. السيد محمد السيد آخرون. دار الحديث، القاهرة، د.ط، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، المجلد الرابع، ٥٠٠.

(٢) أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري: **الكشّاف عن الحقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**. دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م. المجلد الثاني. ٥١٩.

(٣) كالعواصف والأعاصير التي تثيرها وسائل الإعلام، وأبواق الطغيان ضد ما هو رباني أصيل، كالمصطلحات الإسلامية الأصيلة.

(٤) وهذا نتيجة الانهزام النفسي الذي يولّده التوجيه الإعلامي في بعض التفوس.

(٥) علوّ مستمد من علوّ الحق المؤيّد من رب العالمين سبحانه.

وإنّ الكلمة الخبيثة -كلمة الباطل- لَكالشجرة الخبيثة، قد تهيج وتتشابك[1]، ويخيّل إلى بعض الناس أنها أضخم من الشجرة الطيبة وأقوى[2]. ولكنّها تظلّ نافشة هشة وتظل جذورها في التربة قريبة حتى لكأنها على وجه الأرض. وما هي إلا فترة ثم تجتثّ من فوق الأرض، فلا قرار لها ولا بقاء[3]. وليس هذا وذلك مجرّد مثل يضرب، ولا مجـرّد عـزاء للطيبين وتشجيع، إنما هو الواقع في الحياة، ولو أبطأ تحقّقه في بعض الأحيان[4]. والخـير الأصيل لا يموت ولا يذوي مهما زحمه الشرّ وأخذ عليه الطريق. والشرّ كذلك لا يعيش إلا ريثما يستهلك بعض الخير الملتبس به- فقلّما يوجد الشرّ الخالص- وعندما يـستهلك ما يلابسه من الخير فلا تبقى فيه منه بقية، فإنه يتهالك ويتهشم مهما تضخّم واستطال[5].

وفي ظل الشجرة الثابتة مثلاً للكلمة الطيبة: (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة).. وفي ظل الشجرة الخبيثة المجتثّة من فوق الأرض ما لها من قرار ولاثبات. يثبّت الله الذين آمنوا في الحياة الدنيا وفي الآخرة بكلمة الإيمـان المـستقرة في الضمائر، الثابتة في الفِطر، المثمرة بالعمل الصالح المتجدّد الباقي في الحياة.

ويثبّتهم بكلمات القرآن وكلمات الرسول (ﷺ)[6]، وبوعده للحق بالنصر في الدنيا، والفوز في الآخرة. وكلها كلمات ثابتة صادقة حقة، لا تتخلف ولا تتفرّق بها السبل، ولا يمسّ

---

(١) باصطناعِ خيالٍ زائف تبين علوّ الباطل الذي يحمله الشر وكأنّه يعلو على الحق.

(٢) من الضجيج الذي يولّده تلبيساً على الناس بالحق الذي يعلو صوته، وشـتّان بـين الـضجيج والصوت الواضح المجلجل.

(٣) والزمن كفيل بإبراز هشاشتها وعدم قرارها ولا بقائها فيضطرّ أصحابها باستبدالها بأخرى، عسى أن يُجدّد ما خلق، أو يقومون بترقيعها، يراهنون على خفة الفكر والاستخفاف بالعقول والقلوب.

(٤) ولمجرّد الاعتبار، علينا من حينٍ لآخر أنْ ننظر للوراء ونرى تلك المصطلحات الـتي تُركـتْ في مزبلة تاريخ المصطلحات حين اجتثتْ واستؤصلتْ من واقعٍ لم يقبله ألبتة.

(٥) فهذه المسحة من الخير مما ينخدع به الكثير من الناس، فالعجب هنا أنهم يقبلون بقليلٍ من الخير في الباطل، ولايقبلون الخير كله من الحق.

(٦) لأنه مباركٌ ومؤيدٌ من الوحي، ومن يزاحم الوحي فقد خسر خسراناً مبيناً.

أصحابها قلق ولا حيرة ولا اضطراب. (ويفعل الله ما يشاء) بإرادته المطلقة، التي تختار الناموس، فلا تتقيد به ولكنها ترضاه. حتى تقتضي الحكمة تبديله فيتبدل في نطاق المشيئة التي لا تقف لها قوة، ولا يقوم في طريقها عائق، والتي يتم كل أمر في الوجود وفق ما تشاء[1][2].

وذهب الزمخشري في قوله تعالى (ما لها من قرار) أنه شبّه بها القول الذي لم يعضد بحجة فهو داحض غير ثابت والذي لا يبقى إنما يضمحل عن قريبٍ لبطلانه. وهذا تأسيس للمصطلح غير الإسلامي والذي ليس له حجة تعمّره إلى أجيالٍ أخرى.

وقال في قوله تعالى «بالقول الثابت» الذي ثبت بالحجة والبرهان في قلب صاحبه وتمكّن فيه، فاعتقده واطمأنّتْ إليه نفسه[3]. وهذا عين المصطلح الذي ينبع عن أصوله الإسلامية المرتبط بالوحي الإلهي المترّل من السماء..! حيث تؤتي أكلها من الكلم الطيب والعمل الصالح والأخلاق والآداب الحميدة فينتفع بها الجميع[4]، فهذا هو المشبه المذكور في الآيات، هي الكلمة الطيبة فيها عناصر الطيبة التي ذكرتْ في الشجرة المشبه بها، فهي كلمة النفس والقلب والعقل، تنبع من القلب والعقل فتُقال بإخلاص لله تعالى، وهو الحقّ، وإنها إذ تُقال تعلو بصاحبها عن سفساف الأمور، وتتجه به إلى معاليها، فهي ترفع صاحبها ولا تهوى، وهي هادية مرشدة ممتدة النفع تؤتي ثمراتها كل حين، والكلمة الطيبة تبقى ببقاء الأنفس المتبصرة المدركة، فالكلمة حياة تحيي النفوس والأفئدة. إذن فما الكلمة أو المصطلح الذي تتحقق فيه هذه المعاني؟ إنها كل كلمةٍ أو مصطلحٍ يكون صادقاً في ذاته

---

(١) تلك الإرادة التي يجب أن لا تقارن به أي إرادة أخرى، ناهيك عن إرادة ماركس أو فرويد أو دوركايم وغيرهم ممن أُله أفكارهم حين جُعلت موازيةً للوحي. فعجباً لمن يتعجب من إرادة صنعت المصباح الكهربائي و لم يتعجب من إرادة خلق ضياء الشمس ونور القمر، وعجباً لمن تعجب من إرادة صنعت العقل الالكتروني والحاسوب ولايتعجب من إرادة خلقتْ العقل البشري!!

(٢) سيد قطب: **في ظلال القرآن**. المجلد الرابع، ٢٠٩٨.

(٣) أبو القاسم جارالله محمود بن عمر الزمخشري: **الكشّاف عن الحقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**. المجلد الثاني، ٥٢٠.

(٤) الشيخ أبو عبد الله عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي: **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**. المكتبة العصرية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م. ٣٧٤.

ومنبعثاً من النفس لإرضاء الله تعالى -لا لإرضاء النفوس فيما تراه-، والذود عن محارمه وتتحقق فيها النية الطيبة، والقول الطيب وبالتالي الاصطلاح الطيب، كما قال تعالى ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ [الحج: ٢٤][1].

والمشبه الآخر هو الكلمة الخبيثة، وهي الكلمة التي تنبعث من خبث النفس[2]، وضلال الفكر[3]، فهي نقيض المصطلح والكلمة الطيبة؛ لأنها لا تنبعث من إخلاص لله ولرسوله، ولا تكون طيبة في واقعها، ولا في نتائجها، وما يترتب عليها، وأوضحها الكذب[4]، والواقع المعاش يرشدنا إلى تلك المصطلحات التي تتصف بهذه الصفات من حيث نتائجها وما يترتب عليها وبالأخصّ الكذب على (الجماهير!!).

وبما أنّ «القول الثابت» هو الذي ثبت وبالحجة والبرهان في قلب صاحبه وتمكّن فيه، فاعتقده واطمأنّتْ إليه نفسه[5]، فالقول الذي لا حجة له والمصطلح الذي لا برهان له في قلب واضعه، و لم يتمكّن فيه، فاعتقاده باطل لعدم الاطمئنان إليه.

إذن فحين نقارن الكلمة الخبيثة (المصطلح الخبيث) بالكلمة الطيبة (المصطلح الطيب) سنكتشف الفارق الشاسع، فالكلمة الخبيثة مجتثّة من فوق الأرض والاجتثاث هو استئصال الشيء من أصله وقلعه من جذوره، والجُثّة كما نعلم هي الجسد الذي خرجت منه الروح، ومن بعد أن يصبح جُثة يصير رِمةَ[6]، مهما حاول بعضهم أن يرممه أو أنْ يحنطه لأدامته لكن أنى يحيي هذا الموات بخاصة أنه ولد ميتاً.

---

(١) الشيخ محمد أبو زهرة: **زهرة التفاسير**. دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط، د.س، المجلد الثامن، ٤٠٢٠.

(٢) كخباثة نفس دروكايم وفريد وسارتر وغيرهم.

(٣) كضلالات الفكر الماركسي والليبرالي والوجودي وغيرها.

(٤) الشيخ محمد أبو زهرة: **زهرة التفاسير**. المجلد الثامن، ٤٠٢١.

(٥) أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري: **الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**. المجلد الثاني. ٥٢٠.

(٦) الشيخ محمد متولي الشعراوي: **تفسير الشعراوي**. أخبار اليوم قطاع الثقافة، القاهرة، د.ط، ١٩٩١م. المجلد الثاني عشر، ٧٥٠٩.

إذن فإنّ عمدة الكلمة الطيبة قرآنياً هي شهادة «لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله» ومن هذه الشهادة يتفرّع كلّ الخير، فلا خير في مصطلح لم يكن قدوته «لا إله إلا الله محمد رسول الله».

ومن هنا نعلم أنّ عمدة الكلمة الخبيثة هي الكفر بتلك الشهادة، وما يتبع الكفر من عناد لرسول الله (ﷺ) وصدٌّ عن سبيل الله؛ ومن تكذيب لمعجزات الرسل وإنكارٍ لمنهج الله واصطلاحٍ يغاير هذا المنهج بل ويرد عليه ويرتد عنه[1].

وبتأملٍ وتدبرٍ لما سبق الإشارة إليه نستنبط من هذه الآيات القرآنية مباديءَ وأسساً في تحديد خصائص المصطلحات المقبولة أو التي تنتظم دلالةً ومفهوماً مع المنظومة الإيمانية التي يشكّلها المنهج الربّاني لبناء فردٍ ومجتمعٍ ملتزمٍ ومعترفٍ بأُلوهية ربه وربوبية خالقه، وهذه الخصائص هي:

- **الخاصية الاولى**: أنها طيبة؛ لذلك شبّهتْ بالشجرة الطيبة، وطيبتها مستمدة من طيبة منبتها وهو الوحي الإلهي وتأييده لمفهومه[2].

- **الخاصية الثانية**: أنّ أصلها ثابتٌ، كإيمان المؤمن المحب، وثباتها مستمدٌ من قوّة وعزّة ومتانة المقام الإلهي الذي يرشد بالوحي ويفرض مفهومه على جميع المخلوقات.

- **الخاصية الثالثة**: أنّ فرعها في السماء، فشتّان بين كلمةٍ أو قولٍ أو مصطلحٍ جاء مؤيَّداً من لدُن السماء، وبين ما هو بشريّ الصنع والموقف، الذي لا يثبت أمام السنن الإلهية في الوجود ومنها عدم الثبات أمام تغير الزمان والمكان.

---

(١) المصدر نفسه، ٧٥١١. وانظر: محمد بن علي الشوكاني بن محمد: **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**. تحقيق: د.عبد الرحمن عميرة. دار الوفاء، المنصورة - مصر، ط٢، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م. الجزء الثالث. ١٤٥

(٢) فالكَلِم الطيّب هي المقبولة عند الله سبحانه، إلا أنها تحتاج إلى فعلٍ وعملٍ يثبت صدقها وولائها لله سبحانه، حيث يقول سبحانه: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [سورة فاطر: الآية ١٠].

• **الخاصية الرابعة**: أنها تؤتي أكلها كلّ حينٍ بإذن ربها، أي: فيها عطاء المدد الذي لا يعرف الحدّ ولا العدد، وهي معطاء في كلّ وقت، ولكن هذا الوقت محدّد بزمنٍ وفعلٍ معيّن يستحقان منه هذه الكلمة أو مصطلح(١).

إذن فنحن أمام عِدّة خواص «تنظيرية» للمصطلح الإسلامي، وبالأحرى تلك الخواص والسمات الممهِّدة لِـ«علم مصطلح إسلامي» يجب أن نتوافق نحن المسلمون على تأسيسه على نمطٍ منهاجيّ معرفيّ أصيل، يعتمد منهج القرآن في توجيه المصطلحات والكلمات بحيث يتوافق مع مراد الله سبحانه من الخلق وتنفيذاً لأوامره.

ولم يضع القرآن الكريم أسس وضع المصطلحات الإسلامية أو المصطلحات المقبولة شرعاً فحسب، بل تخطاه إلى توصيف المصطلحات غير الإسلامية والمنطوية تحت بند (الكلمة الخبيثة) والتي تشمل غالبية المصطلحات الوافدة إلى المجتمع الإسلامي. فاشتمل التوصيف على ثلاث صفات هي:

أولاً: أنها خبيثة، ومستمدة خباثتها من تفكير أصحابها.

ثانياً: أنها عديمة الأصل بغير ثبات؛ لاعتماد أصحابها على غير مراد الله سبحانه من الخلق، وليس فيه تنفيذ لأوامره.

والثالثة: ما لها من قرار لعدم ثبات الأصل، فهذه المصطلحات تترنّح بين المفاهيم المتناقضة، مذبذبة فهي لا إلى هؤلاء تنتمي ولا إلى هؤلاء تَؤُول، فهي غير مستمسكة بأصلٍ ثابتٍ توازي في قوتها ورصانتها وأصالتها ما للمصطلح الإسلامي من تأييدٍ من قِبل الوحي سواء في القرآن الكريم أو السنة النبوية(٢).

---

(١) الشيخ محمد متولي الشعراوي: **تفسير الشعراوي**. المجلد الثاني عشر، ٧٤٩٩.
وانظر: وهبة الزحيلي: **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**. دار الفكر، دمشق، ط٢، ١٤١٢هـ/٢٠٠٣م. المجلد السابع، ٢٦٢.

(٢) الشيخ محمد متولي الشعراوي: تفسير الشعراوي. المجلد الثاني عشر، ٧٥١٢. وانظر كذلك: - عودة خليل أبو عودة: **التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن**. ٢٢. وكذا.. أبو الحسين أحمد بن فارس: الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها، وسنن العرب في كلامها. ٤٤.

وبهذه الصفات الثلاث تكتمل الوجهة النظرية لموضوع المصطلح قرآنياً، وما يؤكد هذا المذهبَ التطبيقاتُ العملية في مجال استخدام المصطلحات في القرآن الكريم، حين طبّق سبحانه هذه الخواص والصفات للكلمة والمصطلح الطيب، والكلمة والمصطلح الخبيث على كلمات ومصطلحات محدّدة تكون أسوة لكلمات ومصطلحات أخرى وهذا ما سنتحدث عنه في الاتجاه العملي التطبيقي لتحديد مفاهيم المصطلحات في القرآن الكريم.

٢- وفي سورة فصلت الآية ٣٣ يقول الله سبحانه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾.

يقول الشيخ عبدالرحمن آل سعدي[١] في معرض تفسيره لهذه الآية: «هذا استفهام بمعنى النفي، وحالة (ممن دعا إلى الله) بتعليم الجاهلين، ووعظ الغافلين والمعرضين، ومجادلة المبطلين، بالأمر بعبادة الله، بجميع أنواعها، والحثّ عليها، وتحسينها مهما أمكن[٢]، والزجر عما نهى الله عنه، وتقبيحه بكلّ طريق يوجب تركه[٣]...»[٤].

فلفظ (قال) في الآية ليس الغرض أنه تكلم الكلام، ولكن جعل دين الإسلام مذهبه ومعتقده، فالآية عامّة في كلّ من جمع هذه الثلاث: أنْ يكون موحِّداً ومُعتقداً لدين الإسلام، عاملاً بالخير، داعياً إليه[٥]، فهنا تكمن عملية الاصطلاح الإسلامي المراد، وهذا ما اعتمده علماؤنا حين اصطلحوا على كلماتٍ وأقولٍ حملتْ هذه الصفات المذكورة في

---

(١) الشيخ أبو عبد الله عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي: **تيسير الكريم الرحمن**. ٦٩١.

(٢) ولا ريب أننا مأمورون بموجب هذا الكلام أن نستحسن المصطلح الإسلامي الرباني القرآني ونرغِّب فيه.

(٣) وكذلك نحن مأمورون بأنْ نستقبح المصطلح غير الإسلامي إنْ كان على غير منهج الله، ولا نرغِّب فيه أحداً ولا نتخذه شعاراً لنا.

(٤) الشيخ أبو عبد الله عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي: **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**. ٦٩١.

(٥) أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري: **تفسير الكشّاف**، المجلد الرابع، ٢٠٥.

الآية، مما يساعدنا أيضاً على تبني تأسيس علم مصطلح اسلامي لـه قواعـده القرآنيـة، وضوابطه المنهجيّة المعرفيّة، وتوجيهه الفكري.

و لم يكتفِ سبحانه بهذه الآية في تحديد معنى القول المصطلح، بل أسهب في ذلك بعد هذه الآية مباشرة حين قال: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت: ٣٤]. فالحسنة والسيئة متفاوتتان، وكـذا الاصطلاح الطيّب والاصطلاح الخبيث؛ لأنّ في اصطلاح الطيب دعوة للحق والتوحيـد والعمل بالخير، فمن هذا ثباتها والاصطلاح الخبيث دعوة للباطل والشرك والشرّ، فمنـها عدم القرار والاجتثاث.

وعند ذاك فلا على الداعية بعد ذلك أنْ تتلقى كلمته (التي هي موصـولة بالـسماء ثابتة الأصل) بالإعراض، أو بسوء الأدب، أو بالتبجح في الإنكار. فهو إنما يتقدم بالحسنة. فهو في المقام الرفيع، وغيره يتقدم بالسيئة. فهو في المكان الدون فـلا تـستوي الحـسنة ولا السيئة[1]. وبالتالي كان مشهد الحساب حاضراً في الموقف، حين التلفظ بما ليس مـن الإسلام من شيء حيث يقـول سـبحانه: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾[الإسراء: ٣٦].

٣- وفي سورة الأنعام الآية ١١٥ يقول سبحانه: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾.

تّمتْ كلمة الله سبحانه صدقاً في الإخبار (وكذلك يجب أن يكون المصطلح الموصول بالسماء والثابت في أصله)، وعدلاً، في الأمر والنهي، فلا أصدق من اخبار الله التي أودعها هذا القرآن الكريم، ولا أعدل من أوامره ونواهيه، ولا مبدِّل لكلماتـه حيـث حفظهـا وأحكمها بأعلى أنواع الصدق، وبغاية الحق، فلا يمكن تغييرها، ولا اقتراح أحسن منها، أو الاصطلاح على غير لفظها ومفهومها دون أن تحمل الصدق والعدل والتوجيه الربـاني

(١) سيد قطب: **في ظلال القرآن**. المجلد الخامس، ٣١٢١.

في طيّاتها[1]. فلا مبدِّل لكلماته؛ لأنّه لا يوجد إله آخر يعارضه فله سبحانه طلاقة القدر. سوى من اتخذ إلهه هواه، فترك معبوده الإله الأوحد، وسار وراء شهواته وهواه الذي هوى به إلى نار جهنم[2]. فجعل لنفسه منهجاً آخر ومصطلحات ألّفها ليبتعد عن كلمات الله ومصطلحات شريعته؛ لأنه سوف يصطدم بمنهج رباني يمنعه من أن يتخذ إلهه هواه. والآية بمجملها تدل على وجوب اتباع دلالات القرآن؛ لأنها حقّ لا يمكن تبديلها بما يناقضها؛ ولأنها من حكيمٍ لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء[3].

٤- يقول تبارك وتعالى في سورة آل عمران الآيات (٦٤- ٦٨): ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾.

حيث اشتملت الآيات على تصحيح مجموعة من المفاهيم وتحديدها، دلّتْ عليها مصطلحات مثل: العبادة، الشرك، العلم، الولاء، الاتباع،... في سياق حجاجي إقناعي غير جارح، يقوم على برهانية عقلية وتاريخية[4].

---

(١) الشيخ أبو عبد الله عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي: **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**. ٢٢٤.

(٢) الشيخ محمد متولي الشعراوي: **تفسير الشعراوي**. المجلد السابع، ٣٨٩٣.

(٣) سعيد شبار: **المصطلح خيار لغوي.. وسمة حضارية**. ٣٨.

(٤) ويحصل التبديل، باستبدال الإصطلاحات، فحين نستخدم الديمقراطية بدل الشورى، والعلمانية بدل الدين، والفن بدل الميوعة والابتذال والفحش، أو استبدال المفهوم الإسلامي للحرية بأخرى فوضوية غربية،..أليس هذا كله من طَلَبِ البديل لإراد الخالق؟ أليس هذا استبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير!! . انظر: وهبة الزحيلي: **التفسير المنير**. المجلد الرابع، ٣٦٣.

وأوّل هذه الآيات دعوة لأهل الكتاب إلى كلمة سواء، هذه الكلمة تنطلق من منطلقات مهمة في هذا الوجود، والذي لا يجوز لمنصفٍ وعاقلٍ ألا يعترف بها ويقول ويفعل من خلالها.. إنها تصحيح مسار الإنسان في هذا الكون؛ لكي يدرك أنه في عمل وفي حياة ابتلاء، وجزائه ليوم الحساب. إذن الكلمة السواء أو الاصطلاح على هذه الكلمة يجب أنْ يتم حسب السنن الإلهية في الوجود والحياة مما فصّل فيه هذه الآيات، أُولاها عدم الإشراك بالله خالقاً وإلهاً ومعبوداً بشيء آخر، وقد استخدام سبحانه كلمة (شيئاً) لتناهي الدقة في وصف الإله غير الحق المعبود عند غير المسلمين سواء كان شمساً أو قمراً أو بقرة أو فأراً أو أصغر من ذلك أو أكبر، هذه الكلمة السواء والاصطلاح عليها مع أهل الكتاب هي المفصل والمحك، فإنْ بَغَوا عليها فلا يجوز للمسلم التنازل عن هذه الكلمة والاصطلاح عليها بل يلتزم بموقفه ولايزحزحه شيء، فيقول سبحانه (فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون)[1].

ومن ثمّ فتصحيح المفاهيم وتحديد الدلالات مستمر مع هذه الآيات البيّنات برفض ما احتجت به اليهودية من أنّ مصطلح (يهودي) ينطبق على إبراهيم عليه السلام، أو ما احتجتْ به النصرانية أن مصطلح (نصراني) ينطبق على إبراهيم عليه السلام؛ وهذا لسببٍ بسيط هم لا يعقلونه أو يريدون أن لا يعقلونه، حيث إن إبراهيم جاء قبل اليهود والنصرانية بمئات السنين، فحقيقة الاصطلاح يجب أن تكون متطابقة مع أدنى حيثيات الموضوع ولا يتعارض معها[2].

فالمجادلة والمحاججة يجب أن تكون على أساس علمي ومعرفي بحيث لا يتناقض مع الأسس التي حدّدها القرآن لذلك؛ لذلك رفض القرآن الكريم أسلوب الكفار والملحدين

---

(١) سيد قطب: **في ظلال القرآن**. المجلد الأول، ٤٠٦.

(٢) أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي: **تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)**. تحقيق: يوسف علي بديوي. دار ابن كثير، دمشق، ط١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م. الجزء الأول، ٢٦٢.

في المحاججة والمجادلة حين قال سبحانه: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ۝٨ ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ لَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴾ [الحج: ٨- ٩]... وقوله سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ [غافر: ٥٦]... وهكذا تتوالى الآيات البيّنات وهي تضع القواعد الربانية في الكلام والاصطلاح ووضع الكلمات في موضعها المناسب عن علمٍ وهدى، بحيث لو أقمنا على هذه الآيات دراسات مصطلحية ممنهجة لتوصلنا إلى علم إسلامي مصطلحي تجعل من ضوابط القرآن الاصطلاحية منهاجاً له فنجادل ونحاجج غيرنا عن علمٍ وهدى وكتاب منير يهدينا[1].

فأي جدالٍ أو محاججة يجب أن يتوفر فيه مصطلحات تبيّن المفاهيم وتدلّل على المعاني المرادة، فلو انتفى العلم في هذه المصطلحات والهدى الموجب للإقناع، وعدم الاعتماد على كتاب الله سبحانه الذي هو أسّ المعرفة والمنهج القويم، كان الجدال لا طائل منه، فاعتماد المصطلحات الشركية أو التي أسستْ على أساس الإلحاد واللادينية غير مقبول في منطق الإسلام[2].

٥- وفي سورة البقرة الآية ٧٥-٧٦ يقول سبحانه: ﴿ أَفَتَطۡمَعُونَ أَن يُؤۡمِنُواْ لَكُمۡ وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ۝٧٥ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾.

يبين الله سبحانه أنّ التحريف والتبديل لكلام الله سبحانه أشد الحرام، سواء كان بالتأويل الفاسد، أم بالتغيير والتبديل، وقد وقع النوعان من أحبار اليهود قديماً[3]، وها هو

---

(١) عبد الرحمن عزي: **اللسان العربي وإشكالية التلقي**. ١٦.

(٢) سيد قطب: **في ظلال القرآن**. المجلد الرابع، ٢٤١١.

(٣) وهبة الزحيلي: **التفسير المنير**. المجلد الأول، ٢١٨.

يقع في الحاضر لكن من أبناء جلدتنا يحرّفون الكلِم عن مواضعه، ويسمّون الأشياء بغير أسمائها ويصطلحون على مصطلحاتٍ فيضعون لها معاني ما أرادها الله، ليوهموا الناس أنها من عند الله وما هي من عند الله سبحانه[1].

➢ **ثانياً: - الاتجاه العملي التطبيقي (الممارسة)**

هذا الاتجاه يمثل ممارسة القرآن الكريم لما أشرنا إليه في الاتجاه الأول التنظيري، أي أنّ القرآن الكريم لم يكتف على التنظير والتأسيس والتناصح فقط بما هو خير في المصطلحات، بل تجاوز ذلك إلى تطبيقه على مصطلحاتٍ بعينها؛ لتكون أمثلة لقواعد وضوابط حدّدها في الاتجاه الأول، وهكذا تكون العلوم عند تأسيسها.

وقد وَرَد في القرآن الكريم تحديدات عملية لمفهوم المصطلحات والكلمات الواردة في بعض الآيات تطبيقاً لسيادة الكلمة الطيبة ونفياً للكلمة الخبيثة، ومما جاء في هذا المجال:

١- جاء في سورة البقرة الآية ١٠٤ قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾..

في الآية ذِكرُ شيءٍ آخر من جهالات اليهود، والمقصود به نهي المسلمين عن مثل ذلك.

---

(١) الشيخ أبو عبد الله عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي: **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**. ٣٥.

والتحريف في الدلالات والمفاهيم هو أشدّ وطأً؛ لأنه يخفى عن العامي ويلتبس بالعالم.. وإسباغ الصفة الإسلامية على بعض المصطلحات؛ لأنها قريبة منها في بعض جزئياتها هو عين التحريف، كمن يقول بالديمقرطية الإسلامية أو الإشتراكية الإسلامية والليبرالية الإسلامية.. وغيرها من المصطلحات مما لم ينزل الله بها من سلطان. وما حدّده سبحانه في الآيات من دلالات ومعاني، فهذا توبيخ شديد لمن يبدل مفهوماً أراد به الله سبحانه وحدّده في شريعته بما هو غريب وليس من شريعته. وهذا مؤكد ومبين في قوله ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [المائدة: ١٣].

وحقيقة كلمة (راعنا) في الآية أنْ يكون أرقبنا ولترقُبك، وهي من الإرعاء والمراعاة[1]، وكانوا يعنون غير هذا المعنى، حيث كان ذلك قولٌ يقولونه للنبي (ﷺ) على سبيل التهكم، يقصدون به رَمْيه بالرعونة، ويوهمون أنهم يقولون راعنا، أي: احفظنا، من قولهم: رَعُنَ الرجل يرعُنُ رَعَناً، فهو رَعِنٌ وأرعنٌ، وامرأة رعناء. وتسميته بذلك لميلٍ فيه تشبيهاً بالرعْنِ، أي: أنف الجبل لما فيه من ميل[2]. مع أن للكلمة معنى التعهد في الظاهر؛ يقال: راعني، أي افهم عني وأفهمني[3].

وقيل إنها كلمة باليهودية تعني الشتم فوافق أصوات الكلمة اليهودية أصوات الكلمة العربية فاستغلّها اليهود للتهكم بالنبي (ﷺ)، ففي الآية دليل الألفاظ المحتملة التي فيها التعريض للتنقيص[4]. وقد ورد في غير هذا الموضع من القرآن الكريم مثل ما ذُكر، في سورة النساء الآية ٤٦ من قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾... حيث

---

(١) أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي: **كتاب العين**. دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م. ٣٥٧.

(٢) الإمام الراغب الأصفهاني: **مفردات ألفاظ القرآن**. تحقيق: صفوان عدنان داودي، دار القلم- دارالشامية، دمشق- بيروت، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م. ٣٥٨.

(٣) الشيخ أحمد بن يوسف بن عبدالرحمن بن عبدالدئم السمين الحلبي(ت ٧٥٦هـ): **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ**. تحقيق: محمد باسل عيون السود.دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م. الجزء الثاني، ٩٨.

(٤) أبو زكريا يحيى بن زياد الفرّاء (ت ٢٠٧هـ): **معاني القرآن**. تقديم وتعليق: إبراهيم شمس الدين. دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م. المجلد الأول، ٥٦. وانظر: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**. الجزء الثاني، ٥٦.
وقد صرّح الأستاذ سعيد حوى (رحمه الله) في تفسيره الأساس أن كلمة (راعينو) ومشتقاتها لا زالت تستعمل في اللغة العبرية الحالية كلمة سِبَاب... انظر:- سعيد حوى: الأساس في التفسير. المجلد الأول، ٢٠٤.

جاءتْ هذه الآية تفصيلاً لما سبقتها وتأكيداً لها في طبيعة خطاب اليهود ومن حذى حذوهم إلى الآن، فهم يجاهرون بالكفر والإلحاد تارة، ويخفونها تارة أخرى، ويستخدمون التحريف والتلبيس حين يلوون بألسنتهم ويفتلون فيها الحق إلى الباطل[1]، طاعنين في الدين، وهذا ديدن من يريد الطعن في الدين، فيبدأ بمصطلحاته الشريفة وكلماته القويمة، لينقض عُرى الدين لبنة لبنة.

وفي الموضعين السابقين ذكرهما من الآيات القرآنية سواء في سورة البقرة أو سورة النساء، كان الأمر واحداً، سيّان بينهما، ففيهما وجِّهت الأمة المسلمة نحو الاحتراس الكامل من متابعة غيرها، أو الوقوع في أسر مصطلحاته، وفيها عرفت الأمة أن عدوّها لا يريد بها خيراً، ولا يريد لها خيراً بل ينفس عليها أيّ خيرٍ يصيبها من ربها... فإنّ كل قضية من القضايا التي تعرضت لها الآيات هذه ذات أهمية بالغة جداً. فأية غفلة عنها، أو جهل بها، أو انحراف عن الأخذ بها، يترتب عليه شرٌّ كبير وبلاء مستطير[2].

وأول درس يستفاد من الحادثة والآيات: أنْ يحذر المسلم من خداع الألفاظ التي يطلقها الكافرون ومن متابعتهم عليها، ولعلّ غياب هذه الحقيقة عن أذهان المسلمين كان من أعظم أسباب كوارثهم، فقد تابعوا أعداء الله والإسلام في شعاراتهم وألبستهم وعاداتهم وأفكارهم وتقويمهم للأشياء، وإذا بآلاف الألوية الكافرة ترتفع في أرض الإسلام، يلتفّ حولها أبناء المسلمين، واللواء الحقيقي للمسلم لواء الله ورسوله لم يعد يحمله إلا القليل، ولو أنّ المسلم عقل الوضع النفسي والعقلي للكافرين عامّة لعرف أنّ هؤلاء الكافرين جميعاً أعداؤه، وأنهم لا يريدون به خيراً[3].

وبذلك نستنتج أمرين مهمين من هذه الآيات:

---

(١) أبو القاسم جارالله محمود بن عمر الزمخشري: **تفسير الكشّاف**. المجلد الأول، ٥٥٠.
وانظر: الهيثم زعفان: **المصطلحات الوافدة وأثرها على الهوية الإسلامية**. ٢٧.

(٢) سعيد حوى: **الأساس في التفسير**. المجلد الأول، ٢٠٣.

(٣) المصدر نفسه، ٢٠٦.

أحدهما: إرشاد المؤمنين بأن يتخيّروا العبارات التي لا تثير حولها المرتابين إلى ما يتعدّى مقاصدهم، وما يحرّفونها عن مقصودها، وأنْ يتخيّروا جميل الألفاظ، وقد وجدنا في هذه الآيات عملية تطبيقية في استبدال مصطلح غير مرغوبٍ فيه بآخر يخدم المعنى المفهوم من السياق من خلال كلمة (انظرنا)، وهذا لا يتم إلا بعد أنْ يتبين المفهوم من خلال تحديده ومعرفة المقصود منه. وهذا ما ينبهنا إليه القرآن الكريم ويأمرنا بتجنب الألفاظ المبهمة أو الموهمة لمعنى سيء، وينهانا عن الجائز إذا كان وسيلة إلى محرّم، والتحذير من أنّ مجاراتهم في الألفاظ والاصطلاحات الواضح احتمالها قد يهوي بنا إلى المهالك ومخالفة شرع الله سبحانه.

وثانيهما: يجب الأخذ بسدّ ذريعة فساد الفهم تحت قاعدة (سدّ الذرائع) الأصولي، ومايؤدي إلى الغمز في القول وإخراج الكلام عن معناه، وتعدى مقصده[1]. بل إنّ بعض الدراسين اعتبر هذه الآيات دليلاً على الأخذ بمبدأ سدّ الذرائع الذي يقوم على أن الذرائع أو الوسائل تأخذ حكم ما تؤدي إليه، فما يؤدي إلى المطلوب يكون مطلوباً، وما يؤدي إلى الممنوع يكون ممنوعاً[2]. «ففيه النهي عن الجائز إذا كان وسيلة إلى محرّم، وفيه الأدب واستعمال الألفاظ التي لا تحتمل إلا الحسن، وعدم الفحش، وترك الألفاظ القبيحة أو التي فيها نوع تشويش واحتمال غير لائق»[3]. كما يأتي انطباق قاعدة سد الذرائع في إطار ما يمكن اعتباره من أن تبنى بعضاً من المفاهيم والمصطلحات الغريبة عن المنهج الرباني قد يكون مدخلاً للبدعة[4]، كما يأتي انطباق دليل سد الذرائع في هذه الآيات أيضاً في إطار

---

(١) الشيخ محمد أبو زهرة: **زهرة التفاسير**: المجلد الأول، ٣٤٧.

(٢) المصدر السابق نفسه. انظر:الهيثم زعفان: **المصطلحات الوافدة وأثرها على الهوية الإسلامية**. ٢٧. وانظر كذلك: شمس الدين أبو عبدالله محمد بن قيّم الجوزية: **أعلام الموقعين عن رب العالمين**. تحقيق: بشير محمد عيون، مكتبة دار البيان، دمشق، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م. المجلد الثاني، ١٣١.

(٣) الشيخ عبد الرحمن السعدي: **تفسير السعدي**.

(٤) سيف الدين عبد الفتاح: **بناء المفاهيم الإسلامية**. ٥١.

المخالفة، وبالتأكيد فإنّ التعامل مع منظومة المفاهيم غير الإسلامية (وبخاصة الغربية) إنما يؤدي إلى عملية إحلال وإبدال لتلك المنظومة مكان المفاهيم الإسلامية ومتعلقاتها ومصدرها (وهذا عكس مراد الله سبحانه في الآيات السابقة)، وهي مقدمة لهجر الشرع وهجر المصادر الإسلامية التأسيسية (الكتاب والسنة) وتكريس غربة المفاهيم الإسلامية ومصطلحاتها لصالح منظومة مفاهيمٍ غير إسلامية (وبخاصة الغربية) الوافدة[1].

ويأتي أخيراً انطباق دليل سدّ الذرائع كأجلى ما يكون في اهتمام الوحي بالتأكيد على استخدام كلمة ومصطلح في مواجهة كلمة ومصطلح آخر، بما يفيد الأمر باستخدام لفظٍ والنهي عن استخدام آخر. وفي الآيات آنفة الذكر دفع الشبهة والخلط، والحفاظ على الذاتية والتأكيد على الخصوصية في التعامل بالمفاهيم، وما هذا النهي الواضح في هذه القضية اللغوية الاصطلاحية عن استعمال لفظ مشهور التبس بما اصطلح اليهود عليه إلا لإبعاد المسلمين من الوقوع في شبهة الخطأ والإثم، ولئلا يكون هذا الاستعمال ذريعةً إلى فسادٍ غير مقصودٍ فما بالك بالمقصود، وبذلك يقطع الطريق على الفساد المقصود[2].

وبذلك سنصل إلى كلمة طيبة، طيبة المنبت والأصل وطيبة المعنى والمفهوم، وطيبة الأداء والاستخدام، منتفيةً فيها صفات الكلمات الخبيثة[3].

٢- جاء في سورة الحجرات الآية ١٤ و١٥ قوله تعالى: ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾.

هذا إنكارٌ من الله على الأعراب وهم أهل البادية الذين ادّعوا لأنفسهم مقام الإيمان،

---

(١) المصدر نفسه. ٥٣.

(٢) المصدر نفسه. ٥٥.

(٣) والتي أشرنا إليها وإلى خواص الكلمة الطيبة في الجهة التنظيرية لارشادات القرآن الاصطلاحية.

ولم يتمكّن الإيمان في قلوبهم بعد، إلا أنّ هؤلاء الأعراب ليسوا منافقين وإنما هم مسلمون لم يستحكم الإيمان في قلوبهم، فادّعوا لأنفسهم مقاماً أعلى مما وصلوا إليه فأُدّبوا في ذلك[1].

فقد كان القرآن صريحاً في تحديد مفهوم الإيمان والكفر والنفاق، فحين حَدّد موقف الأعراب، صحّح لهم توجّهَهُم في الإيمان. فبعد أنْ حدّد لهم المصطلح اللائق بحالهم وهو (الإسلام)، جعل يبيّن لهم مفهوم مصطلح (الإيمان) وحدّد أطره ودلالاته وما يترتب على وجوده حين قال سبحانه: (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون) تبياناً لحقيقة ما اعتقدوه وتوضيحاً لحالهم وتحديداً لمفاهيم المصطلحات التي يستخدمونها درساً لهم ولعامة المسلمين والكافرين إلى يوم الدين[2]. فهذا التطبيق المصطلحي صالحٌ لكلّ مكان وزمان، فنجد أنّ الكثيرين ممن يدَّعون الإيمان تشبه دعواهم دعوة الأعراب في يومنا هذا[3]. لكنَّ العظيمَ في أمر هذا القرآن أنه دقيقٌ وواضحٌ في حديثه؛ لذلك اهتم بالجانب النظري للمصطلحات والجانب العملي التطبيقي، فوقفة قصيرة على قوله سبحانه: (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا...) إنه ليس مجرّد عبارة إنما هو لمسٌ لتجربة شعورية واقعية. وعلاجٌ لحالةٍ تقوم في النفس. حتى بعد إيمانها[4]. إنّ تفصيل أمر مصطلح مرغوب فيه في القرآن، هو لتبيان خصائص الكلمة الطيبة وتطبيق هذه الخصائص على الكلمة بدقة متناهية. ومن ثمّ يحصل المراد، وهو تصحيح المفاهيم من خلال المفاصلة بين ما هو ربّاني وما هو بشريّ.

---

(١) الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير: **تفسير القرآن العظيم**. تحقيق: د. السيد محمد السيد وآخرون. دار الحديث، القاهرة، د.ط، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م. المجلد السابع، ٣٩٤.

(٢) مقاتل بن سليمان بن بشير البلخي: **تفسير مقاتل بن سليمان**. تحقيق: أحمد فريد. دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م/١٤٢٤هـ، المجلد الثالث، ٢٦٤.

(٣) سعيد حوى: **الأساس في التفسير**. المجلد التاسع ٥٤٢٢. وانظر: - وهبة الزحيلي: **التفسير المنير**. المجلد الثالث عشر، ٦٠٠.

(٤) سيد قطب: **في ظلال القرآن**. المجلد السادس. ٣٣٥٠.

٣- وفي سياقٍ إحصائيّ، فقد وَرد في القرآن الكريم تصحيح المفاهيم والدلالات في المصطلحات والتعابير الاصطلاحية في كثير من الآيات. فقد ورد عبارة (لا تقولوا) في ستّ مواضع من القرآن وأكثرها في تصحيح المفاهيم والمصطلحات تطبيقاً للمفاصلة بين الكلمة الطيبة وخواصها والكلمة الخبيثة وخصائصها[١]، فإضافة إلى الآية ١٠٤ في سورة البقرة التي فصّلنا القول فيها في النقطة الأولى من هذا الاتجاه والحديث عن كلمة (راعنا)، فقد جاء في سورة البقرة أيضاً قوله تعالى في الآية ١٥٤: ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴾. ففيها تصحيح لمفهوم الموت والحياة، ولا أدلَّ من الشهداء في الإحياء وهم المنعّمون يرزقهم الله من مطاعم الجنة ومآكلها[٢] ويرزقون ثمر الجنة ويجدون ريحها وهم ليسوا فيها بعد[٣]. وهذا كلّه ورد في هذه الآية تصحيحاً للقول أو مصطلح (الموت) عند الشهداء وكذلك عند غيرهم من عامة من يموتون من دون الشهداء.

وفي سورة النحل الآية ١١٦ قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾.. يقول الحافظ ابن كثير حول تفسير هذه الآية: «هنا نهيٌ من الله سبحانه وتعالى عن سلوك سبيل المشركين، الذين حلّلوا وحرّموا بمجرد ما وضعوه واصطلحوا عليه من الأسماء بآرائهم[٤]،

---

(١) والتي فصّلنا القول فيها في الاتجاه الأول من هذا المبحث.

(٢) الحافظ الإمام أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (ت ٥٩٧هـ): **زاد المسير في علم التفسير**. تحقيق: عبد الرزاق المهدي. دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م. المجلد الأول، ١٢٤.

(٣) أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي: (ت ٧١٠ هـ): **تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)**. الجزء الأول، ١٤٣.

(٤) فهذا ديدن الشرك والإلحاد، فطبيعة الشرك والإلحاد لا تتغير عبر العصور، فالهمّ الأول هو تغليب آرائهم على إرادة ربهم الذي خلقهم، مهما اختلفت الأسماء، سواء كانوا من مشركي مكة، أم مرتدي بني حنيفة، أم الزنادقة في العصر العباسي، أم العلمانيون اللادينيون في عصرنا الحاضر.

من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، وغير ذلك مما كان شرعاً لهم ابتدعوه في جاهليتهم.. ويدخل في هذا كلّ من ابتدع بدعة ليس له فيها مستند شرعي، أو حلّل شيئاً مما حرّم الله، أو حرّم شيئاً مما أباح الله، بمجرّد رأيه وتشهيه»[1]، فالآية تحذير للمؤمنين من التشبه بالكفار في تحليل الحرام وتحريم الحلال، دون دليلٍ أو برهان من المشرِّع الحقيقي وهو الله سبحانه، فذلك افتراء على الله الكذب، فالتحليل والتحريم إنما هو لله عزّ وجلّ، وليس لأحدٍ أنْ يقول أو يصرّح بهذا في عين من الأعيان، إلا أنْ يخبر الله تعالى بذلك عنه[2].

فالآية فيها تصحيح صريح لمفهومَي الحرام والحلال، وهما مصطلحان أساسيان في تكليف العباد بـ(افعلْ) و(لا تفعل)، وقد جعل سبحانه مناط التكليف في عملية التصحيح هذه على أساس كشفِ الكلمة الطيبة من خواصه التي حدّدها القرآن كما أشرنا سابقاً، وتحديد صفات الكلمة الخبيثة أيضاً.

ومما يجعلنا ندقّق النظر في هذه الآية حول الاصطلاح وتحديد المفاهيم وتصحيحها أنها أشارتْ إلى وصف اللسان للكذب الذي يدعيه هؤلاء الملحدون والمشركون. حين يصطلحون على أمرٍ آخر ليس بينهما توافق دلالي، ولم تأتِ في سياق المفهوم المستقل، فليس كلامهم كذباً فقط، بل يصفه أي الكذب[3].

وعندما نطبّق هذه القواعد والضوابط على معظم المصطلحات الواردة إلى بلادنا ونراها وهي تصف أوضاعاً ومسائل كذباً، وهي تحاول تلفيقها بالشرع الإسلامي وبالمجتمع الإسلامي مزاحمةً في ذلك مصطلحات شرعنا الشريف المتمثّل بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

٤- وفي سياق مماثل جاء عبارة (يسألونك) خمس عشرة مرة في القرآن الكريم، أكثرها وردتْ في سياق السؤال عن مفهومِ مصطلحٍ ما، ليأتي بعدها التوجيه الإلهي بكلمة (قل).

---

(١) الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير: **تفسير القرآن العظيم**. المجلد الرابع، ٦١٥.

(٢) وهبة الزحيلي: **التفسير المنير**، المجلد السابع، ٥٨١.

(٣) الشيخ محمد متولى الشعراوي: **تفسير الشعراوي**. المجلد الثاني عشر. ٨٢٦٢.

مثل قوله تعالى في سورة البقرة الآية ١٨٩: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ... ﴾ وقوله تعالى في سورة البقرة الآية ٢١٩: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ وقوله تعالى في سورة البقرة الآية ٢٢٢: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ﴾ وقوله تعالى في سورة الأعراف الآية ١٨٧: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ﴾ وقوله تعالى في سورة الأنفال الآية الأولى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ وقوله تعالى في سورة الإسراء الآية ٨٥: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾.. وهكذا تتوالى الاستفسارات حول مفاهيم معينة ومصطلحات تحتاج إلى بيانٍ ربانيّ، فيأتي البيان على أتمّ شكل وأوضح معنى وأجلى مفهوم.

٥- وفي السياق نفسه جاء في الذكر الحكيم كلمة (قلْ) أكثر من ١٤٠ مرة، أكثرها في توجيه النبي (ﷺ) إلى مفاهيم ربانية، وتصحيحات للمفاهيم، وتحديد لها بعيداً عن الالتباس والغموض.

إذن فإنّ القرآن الكريم حين حدّد معالم الاستخدام المصطلحي في الاتجاه النظري التأسيسي، طبّق هذه المعالم على مصطلحاتٍ ومفاهيمَ داخل النص القرآني؛ تبياناً لأمر هامٍّ جدّاً قد أغفل عنه الكثير من المسلمين وهو أهمية المصطلح والمفردات والتعابير الاصطلاحية ودورها في التوجيه الفكري للناس، فهذه المعالم والضوابط القرآنية هي أفضل سلاح لمواجهة الغزو المصطلحي الذي يتعرض له فكر الأمة واقتصادها وتاريخيها ومنهجها التربوي والاجتماعي ونظرياتها السياسة...، وكان إغفال الناس عن طبيعة هذه المعالم والضوابط أثرها في انتشار مصطلحات غريبة عن فكر ومنهج الأمة وسيادتها على العقول،

حتى أضحتْ شعار الدولة والأحزاب والجمعيات فيها[1].

المطلب الثاني: تحديد مفاهيم المصطلحات في السنة النبوية

لقد كان للسنة النبوية دورٌ بارزٌ أيضاً في عملية تحديد مفاهيم المصطلحات وتصحيحها وتوجيه الأمّة إلى كيفية استخدامها في مجالها الدلالي والمفهومي الحقيقي، وتصحيح الانحرافات فيها تصحيحاً للاعتقاد ومفاصلةً بين أوجه النشاط المصطلحي الإسلامي في إطار المنظومة الفكرية الإسلامية ومنظومة الفكر غير الإسلامي.

ولقد سار المنهج النبوي للاصطلاح بموازة الاتجاهين اللذين أشرنا إليهما في المطلب الأول من هذا المبحث، وهما الاتجاه النظري التأسيسي (التنظيري)، والاتجاه العملي التطبيقي، وهذا الأمر طبيعي لطبيعة العلاقة التكاملية بين القرآن والسنة وأصلهما الواحد وهو الوحي الإلهي المنزّل على قلب رسول الله محمد (ﷺ)، واستكمالاً للرؤية العامة حول المصطلح والموقف منه في الإسلام نسرد الموقف النبوي حول الاصطلاح والمصطلحات من خلال هذين الاتجاهين:

➢ الأول: - الاتجاه النظري التأسيسي (التنظيري)

وتتمثّل في ممارسة الرسول (ﷺ) للمنهج وتأسيسه على أسسه القرآنية، وتعليمه الصحابة والمسلمين عامة كيفية التعامل مع الألفاظ والمصطلحات حسب المنهج الذي يبيّنه في أحاديثه الشريفة، ومن أبرز محطات هذا التوجه:

---

(١) سعيد شبار: **المصطلح خيار لغوي.. وسمَة حضارية**. ٣٠.

يجب أنْ نسجل هنا أمراً تقتضيه الأمانة الفكرية والبحث العلمي، وهو أنّ العلماء قديماً قد اهتموا بالمصطلحات القرآنية والسنية، وأَوْلَوْها رعايةً كبيرةً واهتماماً بالغاً، وقد قطعوا أشواطاً مهمة في شرح هذه المصطلحات والتفصيل فيها، لكنّ مقاييسهم كانت لغوية في الغالب، فإما معجمية تبحث عن الأصل اللغوي ومن ثم التطور الدلالي الواقع، وإما دراسات صرفيّة في الحذف والإعلال وغيرها من المسائل الصرفية، وقد تطورت في مراحل مهمة إلى دراسة النظم والسياق في النص القرآني. أي لم تكن هناك مقاييس قرآنية تفاصل بين الكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة مثلما أشرنا إليها، رغم أن هذه إشارات وخواطر تحتاج إلى دراسات تدبّرية تفكّرية مهمة في القرآن الكريم، يرعاها علمٌ مستقلّ تسمّى بعلم المصطلح الإسلامي. (الباحث)

١ - رُوِيَ عن أبي هريرة (ﷺ) أنه سمع رسول الله (ﷺ) يقول: «**إنّ العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبيّن فيها، يزلُّ بها في النار أبعد مما بين المشرق**» رواه البخاري[١].

فالحديث واضحٌ في التأسيس للكلمة والمصطلح وتحديدهما وتبيان مفهومها؛ لكي لا يتكلم المتكلم بكلمة تقع ضمن المحظور الشرعي وهو لا يدري، وعدم درايته هو في نفسه محظورٌ حسب الحديث الوارد، فعدم المبالاة وعدم التبيّن يهوي بصاحب المصطلح في النار عقوبةً له؛ لأنّ المصطلحات والكلمات مناطٌ للتكليف حسب الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة. فعدم التبيّن في الحديث معناه أنه لا يثبتها بفكره ولا يتأملها حتى يتثبّتَ فيها فلا يقولها إلا إنْ ظهرت المصلحة في القول..، والكلمة التي يزِلّ بها صاحبها إلى النار هي كلّ كلمة لا تحمل مصلحةً يصلح المرء به دينه أو دنياه بما يرضي الله سبحانه، فقد يكون البغي أو كلمة عند سلطان يرضيه بها فيما يسخط الله سبحانه، أو هي السوء والفحشاء، أو التعريف بالمسلم بكبيرة أومجون، أو هي استخفاف بحق النبوة والشريعة وإنْ لم يعتقد ذلك، أو التي لا يعرف القائل حُسنها من قُبحها..، ففي الحديث قاعدة في الحثّ على حفظ اللسان، فينبغي لمن أراد أنْ ينطق أنْ يتدبّر ما يقول قبل أنْ ينطق، فإنْ ظهرت المصلحة فيه تكلَّمَ والإ أمسك عن الكلام[٢].

وقد قال النووي بالإمساك عن الكلام إنْ انتفى فيه المصلحة حتّى لوكان مباحاً؛ لأنّه قد ينجرّ الكلام المباح إلى حرام أو مكروه، وذلك كثير في العادة، والسلامة لا يعدِلها شيءٌ[٣].

---

(١) الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: **فتح الباري شرح صحيح البخاري**. دار السلام ودار الفيحاء، الرياض- دمشق، ط٣، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م. المجلد الحادي عشر، كتاب الرقاق، باب ٢٣، الحديث رقم ٦٤٧٧. ٣٧٣.

(٢) الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: **فتح الباري شرح صحيح البخاري**. المجلد الحادي عشر، كتاب الرقاق، باب ٢٣، الحديث رقم ٦٤٧٧. ٣٧٧.

(٣) الإمام أبو زكريا يحيى بن شرف النووي: **رياض الصالحين**. تحقيق: عبدالعزيز رباح وأحمد يوسف الدقاق. دار الثقافة العربية. دمشق، ط٢، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م. كتاب الأمور المنهيّ عنها، باب: تحريم الغيبة والأمر بحفظ اللسان. ٤٤٥

وفي السياق نفسه جاء حديثٌ آخر عن أبي هريرة عن النبي (ﷺ) قال: «**إنّ العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يُلقي لها بالاً يرفعه الله بها درجات، وإنّ العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يُلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم**» رواه البخاري[1].

قد أفاض هذا الحديث في مسألة استخدام الكلمات والمصطلحات في الجانب السلبي كما أشار إليه الحديث الذي سبقه أيضاً، لكنّ هذا الحديث الثاني أضاف إلى المفهوم بل أكمل المفهوم العام للكلمة، فأشار إلى الجانب الإيجابي في الكلمة. وبالإجمال فإنّ الحديثين ألزَمَا المتكلمين بتحرِّي الكلمات التي لا تقود قائلها إلى الهاوية، ويستلزم ذلك تحديد مفاهيم هذه الكلمات وبالتالي المصطلحات المستخدمة تفادياً لعذاب الله سبحانه، والتبيّن من مفاهيم المصطلحات المستخدمة وبخاصة الوافدة إلى المجتمع الإسلامي والتي تحمل في طيّاتها مشاريع واضعها وأفكاره ومنهجه، والذي يخالف الإسلام عقيدةً وشريعةً وسلوكاً، مما يستلزم المفاصلة بينها وبين ما هو إسلاميّ الوضع من المصطلحات، فالشورى غير الديمقراطية والحرية في الإسلام غير الحرية في المنهج غير الإسلامي، والبذل والإنفاق والتعاون في الإسلام غير الاشتراكية في الفكر الغربي، والإسلام الذين هو دين ودولة ودنيا، غير العلمانية اللادينية، والجهاد الإسلامي غير الإرهاب في المفهوم الغربي وهكذا دواليك.

«إنّ الإسلام نظام متكامل، وأجهزته كلها تعمل من داخله، وتعمل بوسائله الذاتية، وليس في حاجة أنْ يستعير أجهزة أجنبية عنه، ولا في الإمكان تركيب هذه الأجهزة الأجنبية لتدور معه في دائرته؛ لأنها من مقاسٍ غير مقاسه، وتعمل على قاعدة غير قاعدته..

ليس الإسلام نظاماً إشتراكياً كما أنه ليس رأسمالياً ولا ديمقراطياً.. الإسلام هو الإسلام.. هو هو كما أنزله الله. وإذا كنّا نعتقد - بصدقٍ- أنّ الإشتراكية تحمل مشابه من الإسلام في بعض النقاط، فلماذا نأخذها من الإشتراكية ولا نأخذها من الإسلام؟!

---

(١) الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: **فتح الباري شرح صحيح البخاري**. المجلد الحادي عشر، كتاب الرقاق، باب ٢٣، الحديث رقم ٦٤٧٨.

فلنكن صرحاء مع أنفسنا، ولننفِ الهزيمة الداخلية من أرواحنا -أيّاً كان أسبابها- ولنطلب الإسلام باسم الإسلام، فهذا هو الاسم الذي قرره الله من فوق سبع سماوات: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران: ١٩] ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥]»[(١)].

٢- وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله (ﷺ): «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذِّي جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلْيكرِم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فَلْيَقلْ خيراً أو لِيَصمت**» متفق عليه[(٢)]. وشاهدُنا في هذا الحديث الشريف العبارة الأخيرة: «ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقلْ خيراً أو لِيصمتْ» فهذه قاعدة من قواعد الإسلام العظيمة، وهي من جوامع الكلم؛ لأنّ القول كله إمّا خيرٌ وإمّا شرّ آيلٌ إلى أحدهما؛ فيدخل في الخير كلّ مطلوبٍ من الأقوال فرضها وندبها، فأذِنَ فيه على اختلاف أنواعه، ودخل فيه ما يؤول إليه، وما عدا ذلك مما هو شرّ أو يؤول إلى الشرّ فأمَرَ عند إرادة الخوض فيه بالصمت.. وحاصل الحديث من كان حامل الإيمان فهو متصفٌ بالشفقة على خلق الله قولاً بالخير وسكوتاً عن الشرّ، وفعلاً لما ينفع أو تركاً لما يضر[(٣)]. ومعنى شاهدُنا في هذا الحديث يدور حول المرء إذا أراد أن يتكلّم فلْيفكّر قبل كلامه فإنْ علِم أنه لا يترتّبُ عليه مفسدة ولا يجرُّ إلى محرّمٍ

---

(١) محمد قطب: **مذاهب فكرية معاصرة**. دار الكتاب الإسلامي. قم- إيران، د.ط، د.س. ٤٤٤.

(٢) الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: **فتح الباري شرح صحيح البخاري**. كتاب الأدب/ باب ٣١/ الحديث رقم ٦٠١٨، المجلد العاشر، ٥٤٧. وكتاب الأدب/ باب ٨٥/ الحديث رقم ٦١٣٦ و٦١٣٨، المجلد العاشر، ٦٥٣ وانظر: الإمام محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي: **شرح صحيح مسلم**. تحقيق: أبو عبد الرحمن عادل بن سعد. دار ابن الهيثم. القاهرة، ط١، ٢٠٠٣م. كتاب الايمان/ باب ١٩: الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا عن الخير/ الحديث رقم ٤٧، المجلد الثاني، ١٠٠.

(٣) الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: **فتح الباري يشرح صحيح البخاري**. المجلد العاشر، ٥٤٨.

ولا مكروهٍ فلْيتكلم[1]، وإنْ كان مباحاً فالسلامة في السكوت لئلا يجرّ المباح إلى المحرّمِ والمكروه[2]. ومعلومٌ أنّ العلماء المسلمين قد أكّدوا على أفضلية الصمت على الكلام، فقد روى الإمام النووي عن أبي القاسم القشيري رحمه الله في هذا الباب قوله: الصمت سلامة وهو الأصل، والسكوت في وقته صفة الرجال، كما أنّ النطق في موضعه من أشرف الخصال. قال: سمعتُ أبا علي الدقّاق يقول: من سكت عن الحق فهو شيطان أخرس. قال: فأمّا إيثار أصحاب المجاهدة السكوت، فلمّا علموا ما في الكلام في الآفات، ثمّ ما فيه من حظّ النفس، وإظهار صفات المدح.. وقال روينا عن فضيل بن عياض رحمه الله قال: من عدّ كلامه من عمله قلّ كلامه فيما لا يعنيه. وعن ذي النون رحمه الله: أصونُ الناس لنفسه أمسكهم للسانه[3].

وقد روى النووي عن الإمام الشافعي أيضاً أنه قال: «إذا أراد أنْ يتكلمَ فلْيفكّر، فإنْ ظهر له أنه لا ضررَ عليه تكلّم، وإنْ ظهر له فيه ضرر أو شك فيه أمسك»[4].

فمدار الأمر في التفكير في الكلام الذي يريد المتكلّم أنْ يلفظه، والتفكير مردّه منهج معرفي، والمصطلحات الوافدة أحق الكلام والألفاظ في التحرّي عنها والتفكّر في مفهومها؛ لأنّ المصطلحات عامةً هي مفاتيح للعلوم، وهي مفاتيح تُفتح بواسطتها أبواب الأفكار، فلا بدّ من إعمال الفكر فيها لمعرفة الصالح من الطالح فيها، حتى يؤذن في التلفظ بها أو الأمساك عنها حسب ما أوردناه آنفاً تنظيراً للكلام عامّة، والتلفّظ بالمصطلحات على الخصوص.

ولا ننسى في هذا المجال الإشارة إلى قيد الخيريّة في الكلام المأذون بالتلفظ به الذي وَرَدَ في الحديث الشريف «قلْ خيراً أو اصمتْ» هذا الخير الذي يحدّده سبحانه لنا باعتباره

---

(١) فإنْ أفسد عليه في دينه وإيمانه وأخلاقه وأصبح في دائرة المحرم أو المكروه فلا يجوز التكلّم أو التلفّظ بكلمات ومصطلحات تفسد عليه وهي في معنى الكلام أيضاً.

(٢) الإمام محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي: **شرح صحيح مسلم**. المجلد الثاني، ١٠١.

(٣) المصدر نفسه. المجلد العاشر، ١٠١.

(٤) المصدر السابق نفسه.

المشرِّع الأوّل والأخير للمسلم سواءً في كتابه المرسل أو على لسان نبيّه المرسَل على السواء، فالخير فيما اختاره الله واصطفاه لعباده فيما يقولونه أو يفعلون.

٣- وعن أبي هريرة ﷺ قال: رسول الله (ﷺ): «**كل سُلامى من الناس عليه صدقة كلّ يومٍ تطلع فيه الشمس: يعدِل بين الإثنين صدقة، ويعين الرجل على دابته فيحمل عليها -أو يرفع عليها متاعه- صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وكلّ خطوة يخطوها إلى الصلاة صدقة، ويميط الأذى عن الطريق صدقة**» رواه البخاري[١].

والشاهد في هذا الحديث عبارة (والكلمة الطيبة صدقة)، حتى أن البخاري في صحيحه قد جعل من هذا الجزء من الحديث الشريف عنواناً لأحد أبواب كتاب الأدب وأسماه (باب طيب الكلام وقال أبو هريرة عن النبي ﷺ): «الكلمة الطيبة صدقة») وأورده تحته الحديث عن عديّ بن حاتم قال: قال الرسول (ﷺ): «اتقوا النار ولو بشقّ تمرة، فإنْ لم يكنْ فبكلمةٍ طيبة»[٢].

فتخصيص الكلمة بصفة (الطيبة) هو إحالة في المعنى إلى الآية التي تمثّلنا بها في بداية هذا المطلب من سورة إبراهيم من قوله تعالى: «ألم ترَ كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء...» وهي في شرح الكلمة الطيبة والمراد من طيبتها أنا توافق إرادة الخالق عزوجل ولا تشاققه؛ لذلك فالتلفّظ بها واعتقادها صدقة، أي قربى يتقرّب بها العبد إلى ربه، باعتبار أنّ كلّ صدقة هي تقرّب إلى الباري عزّ وجلّ، فمن

---

(١) الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: **فتح الباري شرح صحيح البخاري**. كتاب الجهاد والسير/ باب (١٢٨): من أخذ بالركاب ونحوه، الحديث رقم ٢٩٨٩، المجلد السادس، ١٦٠.

(٢) الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: **فتح الباري شرح صحيح البخاري**. كتاب الأدب (٣٤): باب طيب الكلام وقال أبو هريرة عن النبي ﷺ: الكلمة الطيبة صدقة، الحديث رقم ٦٠٢٣، المجلد العاشر، ٥٥١. وفي كتاب الرقاب/الحديث رقم٦٥٦٣، المجلد الحادي عشر، ٥٠٧. والإمام محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي: **شرح صحيح مسلم**. كتاب الزكاة/٢٠- باب: الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة وأنها حجاب من نار، المجلد الرابع، ٣٣٩.

استخدم الكلمة الطيبة أو اصطلح على ما اصطلح عليه السلف الصالح والعلماء العاملين، أو اصطلح على ما يعبّر عن ظاهرة بما يؤيد من الشريعة فهي كلمة طيبة، والإعراض عن ما ينافي هذه الكلِم الطيبة من صلب التدين؛ لأنه لغوٌ لا طائلَ منه والله سبحانه يقول: ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ [القصص: ٥٥] ولزم من ذلك أن المسلمين يتبرّؤون من هذه المصطلحات والكلمات مما يتلفّظ بها الجاهلون بمعانيها ودلالاتها ومفاهيمها، والذي يظهر منها اللغو والباطل، والكلام الذي لا فائدة منه[1].

➢ الثاني: - الاتجاه العملي التطبيقي (الممارسة)

فما أسّسه القرآن الكريم والرسول (ﷺ) في مجال استخدام الكلمات والمصطلحات والمفردات والتفريق بين الطيب والخبيث منها، طبّقه الرسول (ﷺ) عمليّاً ومارسه ممارسةً فعليةً بين أصحابه والمسلمين جميعاً؛ ليضربَ المثلَ على القواعد والضوابط التي حدّدها في مجال حدود استخدام المصطلحات والكلمات وتحديد المعاني، وتصويب الألفاظ، وتغيير بعضها، وإشاراته إلى عبث بعضهم بالأسماء والكلمات بعد وفاته (ﷺ)، ولذلك اتخذ المجال التطبيقي للضوابط الإسلامية للمصطلح عند الرسول (ﷺ) أشكالاً عدة منها:

١- تصويبه (ﷺ) لبعض الألفاظ نَطَق بها الصحابة رضي الله عنهم، فرأى فيها ما يمسّ العقيدة والإيمان، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: «**إنّ أخنع اسم عند الله عزّ وجل رجلٌ تسمّى ملِك الملوك**» متفق عليه[2]. فما ملِكٌ للملوك إلا الله سبحانه، فحين تعارض مفهوم مصطلح ما مع ثوابت الإيمان والعقيدة انبرى إليه الرسول (ﷺ)

---

(١) الشيخ عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي: **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**. ٥٦٥.

(٢) الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: **فتح الباري شرح صحيح البخاري**. كتاب الأدب/ باب ١١٤: أبغض الأسماء إلى الله/ الحديث رقم (٦٢٠٥). والإمام محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي: **شرح صحيح مسلم**. كتاب الأدب/باب: تحريم التسمّي بملك الأملاك، وبملك الملوك/ الحديث رقم (٢١٤٣).

يصوِّبه ويحدِّد جانبه السلبي بوصفه بأنه (أخنع) اسمٍ أي: أوضعه وأخسّهُ[1].

وفي هذا المجال أيضاً ورد الحديث عن بُريدة ﷺ قال: قال رسول الله (ﷺ): «**لا تقولوا للمنافِق سيّد، فإنّه إنْ يك سيّداً، فقد أسخطتم ربكم عزّ وجل**» رواه أبو داود[2] وصحّحه الألباني.

فمفهوم المنافِق وصفاته معروفة ومحدّدة المعالم في الدين الإسلامي، فمن المغالطات الايمانية، أنْ يُقال لمثل هذا الشخص بأنه سيّد، والسيّد من كان له السيادة على من يسود، ومن اتخذه سيّداً فقد ملّك هواه له، وهذا عين محاددة الله سبحانه ورسوله (ﷺ)؛ لأن السيد يطلق على الرب والمالك، والشريف والفاضل والكريم والحليم ومتحمّل أذى قومِهِ والرئيس والمقدّم[3]. وهذه الصفات منتفاة من المنافق وصفاته حسب ما اقتضته الشريعة الإسلامية.

---

(١) محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، **شرح صحيح مسلم**، المجلد السابع، ٢٤٦. وانظر الى: الإمام مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن الأثير (٥٤٤-٦٠٦هـ): **النهاية في غريب الحديث والأثر**. تحقيق: الشيخ خليل مأمون شيحا. دار المعرفة، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م. المجلد الأول، ٥٣٧.

(٢) الإمام الحافظ سليمان بن الأشعث السجستاني (ت-٢٧٥هـ): **صحيح سنن أبي داود**. تخريج: الشيخ ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض- السعودية، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م. المجلد الثالث، ٢٢٢، كتاب الأدب، باب لا يقول المملوك: ربي وربتي، الحديث رقم (٤٩٧٧). وكذا الحديث في صحيح سنن أبي داود عن أبي هريرة، أن رسول الله (ﷺ)، قال: "لا يقولنّ أحدكم عبدي وأَمَتي، ولا يقولنّ المملوك: ربّي وربّتي، وليقلْ المالك: فتايَ وفتاتي، وليقل المملوك: سيّدي وسيّدتي؛ فإنكم المملوكون، والربّ الله عزّ وجل" صححه الألباني. كتاب الأدب، باب لا يقول المملوك: ربي وربتي، الحديث رقم (٤٩٧٥)، ٢٢٢، المجلد الثالث. وكذا عن حذيفة عن النبي (ﷺ) قال: "لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله، ثمّ شاء فلان" رواه أبو داود وصحّحه الألباني. كتاب الأدب، باب لا يقال: خبثت نفسي، الحديث رقم (٤٩٨٠)، ٢٢٣، المجلد الثالث.

(٣) الإمام مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن الأثير: **النهاية في غريب الحديث والأثر**، المجلد الأول، ٨٢٠.

٢- تأطيره (ﷺ) لبعض المصطلحات بأطُرٍ إسلامية وإضفاء معانٍ إسلامية جديدة عليه، من مثل ما رواه أبو هريرة ﷺ، أن رسول الله (ﷺ) قال: «**أتدرون من المفلس؟**» **قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال: «إنّ المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاةٍ وصيامٍ وزكاةٍ، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإنْ فُنِيَتْ حسناته قبل أنْ يقضى ما عليه أُخذ من خطاياهم فطُرحتْ عليه، ثم طُرِح في النار**» رواه مسلم[١].

فها هنا سيلٌ من المفاهيم يطرحها الرسول (ﷺ) ويبني من خلالها حقلاً دلاليّاً يستقر فيه المفهوم لهذا المصطلح، وطريقة طرح (ﷺ) جاءتْ على أتمّ وجهٍ معرفيّ في نطاقٍ منهجيّ متين. فهو سَأل عن معنى ومفهوم المصطلح عند أصحابه وبالتالي عند المسلمين جميعاً؛ ليسترجع معهم المفاهيم السائدة فيقابلها بالمفاهيم الجديدة التي فرضها الوحي على المجتمع الإسلامي الجديد آنذاك. هذه المقابلة بين مفهومي مصطلح (المفلس) هي في حدِّ ذاتها دعوةٌ إلى المفاصلة بين ما هو إسلاميّ من المصطلح ومفاهيمه وغير الإسلامي.

فالحديث هنا بدأ بالاستفهام للاستعلام الذي يُراد به الإخبارُ، إخبارٌ للصحابة عن أمرٍ لا يعلمونه، أو لايعلمون مراد النبي (ﷺ)[٢]، فعندما سُئِلوا رَدُّوا على الرسول (ﷺ) حسب ما فهموه من الحياة، فجاء تصحيح النبي (ﷺ) للمفهوم وتحديد الإطار الدلالي الجديد للمصطلح، وهذا أقلّ ما يُقال فيه إنّه جهدٌ مصطلحيٌّ تطبيقيّ راقٍ.

«فالإفلاس كمصطلحٍ متداول في الأموال والمتاع، يكون متى خسر الإنسان أو ضاع في ذلك. وإعطاؤه مفهوماً آخر غير مفهومه المادّي، مفهوماً معنوياً، أخلاقياً وتربوياً، يدلّ - وإنْ كان المراد منه تقريب المعنى للفهم عن طريق التشبيه والتمثيل بما هو معروفٌ ومتداول- على إمكانية

---

(١) الإمام محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي: **شرح صحيح مسلم**. كتاب البرّ والصلة والأداب/١٥ - باب تحريم الظلم/الحديث رقم (٢٥٨١)، المجلد الثامن، ١٨٨.

(٢) الشيخ محمد بن صالح العثيمين: **شرح رياض الصالحين**. دار السلام، القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م. المجلد الأول، ٥٥١.

استثمار المصطلح في الاتجاه الإيجابي وخلق نوع من التوازن بين دلالته الحسيّة والمعنوية»[1].

ومثل هذا الحديث عن أبي هريرة ﷺ أنّ رسول الله (ﷺ) قال: «**أتدرون ما الغيبة؟**» **قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «ذكرُك أخاك بما يكره، قيل: أفرأيتَ إنْ كان في أخي ما أقول؟ قال: «إنْ كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإنْ لم يكن فيه فقد بهتهُ»** رواه مسلم[2].

فقوله (ﷺ) «أتدرون؟» أي: أتعلمون؟، والاستفهام هنا استفهامُ استعلامٍ؛ يعني: يسألهم لكن المراد به: أنْ ينتبهوا، وإلا فالرسول (ﷺ) يعلم أنه لا علمَ لهم بمثل هذه المفاهيم والدلالات والأمور الشرعية، أو يعلم أنهم يعلمونها لكن أراد التقرير[3]. فالتعريف الذي لخّصه الرسول (ﷺ) هو تحديدٌ لدلالة المصطلح وتوثيقٌ لمفهوم «الغيبة» الإسلامي، ولا ريب أنّ هذا يقع ضمن النشاط الاصطلاحي الذي حدّد مساره الوحي في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة الذي أشرنا إليه في ما مضى في الاتجاه النظري للجهد المصطلحي في تحديد الإطار الدلالي. وهذا بعيدٌ كلّه عن الأصل الدلالي للكلمة المستخدمة ليتعدّى مجاله الدلالي إلى مجال المفاهيم المصطلحية.

وفي حديثٍ عن أنس ﷺ قال: «**أتدرون ما الكوثر؟**» **فقلنا الله ورسوله أعلم. قال: «فإنّه نهرٌ وَعَدَنيه ربّي عزّ وجل. عليه خيرٌ كثيرٌ. هو حوضٌ ترِد عليه أمّتي يوم القيامة..**» رواه مسلم[4].

---

(١) سعيد شبار: **المصطلح خيار لغوي.. وسِمة حضارية**. ٤٤.

(٢) الإمام محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي: **شرح صحيح مسلم**. كتاب البرّ والصلة والآداب، باب: تحريم الغيبة، الحديث رقم (٢٥٨٩)، المجلد الثامن، ١٩٤.

(٣) الشيخ محمد بن صالح العثيمين: **شرح صحيح مسلم**. المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة- مصر، ط١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م. كتاب البرّ والصلة والآداب، باب تحريم الغيبة، الحديث رقم (٢٥٨٩). المجلد السابع، ٤٢١. وانظر: شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد ابن عبد الحليم بن تيمية: **الردّ على المنطقيين**، إدارة ترجمان السنة، لاهور- باكستان. د.ط. ١٣٦٩هـ/١٩٧٦م، ٥٠.

(٤) الإمام محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي: **شرح صحيح مسلم**. كتاب الآداب/ باب: حجة من قال: البسملة آية من أوّل كلّ سورة، سوى براءة. الحديث رقم (٤٠٠)، المجلد الثالث، ٢١٦.

فتعريف الرسول (ﷺ) في هذا الجزء من الحديث للكوثر هو تعريفٌ اصطلاحي؛ لأنّ الكوثر أصله اللغويّ هو فَوْعَلْ من الكثرة، والواو زائدة، ومعناه: الخير الكثير[1]. ويعني ها هنا أنّ اللفظ تحوّل من مجرّد لفظٍ يدلّ على الكثرة إلى مصطلح متعلّق بالمنظومة الإيمانية العقيديّة للمسلمين ضمن جدول الكلمات والمصطلحات الطيبة.

وكذا تعريفه (ﷺ) للمسكين، حيث روى أبو هريرة أن رسول الله (ﷺ) قال: «**ليس المسكين الذي يطوف على الناس تردّه اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان، ولكن المسكين الذي لا يجد غنىً يُغنيه، ولايفطن به فيُتصدّق عليه، ولا يقوم فيسأل الناس**» رواه البخاري[2]. فما تعارف عليه الناس حول مصطلح «المسكين» غير ما بيّنه صاحب الرسالة (ﷺ).

٣ - تغييره (ﷺ) لبعض الأسماء والمصطلحات ذات الدلالات القبيحة والتي تتضمن مفاهيم تتعارض مع قواعد الإسلام ومفاهيمه[3].

ففي رواية عن ابن عمر (رضي الله عنه)، **أنّ رسول الله (ﷺ) غيّر اسم عاصية وقال: «أنت جميلة»** رواه مسلم[4].

وكذا رواية عن محمد بن عمرو بن عطاء قال: **سمّيتُ ابنتي بَرَّة فقالت زينب بنت أبي سلمة إنّ رسول الله (ﷺ) نهى عن هذا الاسم وسمّيتْ بَرَّة فقال رسول الله (ﷺ):**

---

(١) الإمام مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن الأثير: **النهاية في غريب الحديث والأثر**. المجلد الثاني، ٥٦٨.

(٢) الإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: **فتح الباري شرح صحيح البخاري**. كتاب الزكاة/ باب ٥٣: قوله تعالى ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البقرة: ٢٧٣]، الحديث رقم (١٤٧٩)، المجلد الثالث، ٤٢٩.

(٣) انظر تفصيل ذلك في: الإمام أبو زكريا يحيى بن شرف النووي: **تهذيب الأسماء واللغات**. تحقيق: عبده علي كوشك. المجلد الأول، ٧٢

(٤) الإمام محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي: **شرح صحيح مسلم**. كتاب الآداب/باب: استحباب تغيير الاسم القبيح إلى حسن وتغيير اسم برة إلى زينب وجويرية. الحديث رقم (٢١٣٩)، المجلد السابع، ٢٤٣.

«**لا تُزكّوا أنفسكم، اللهُ أعلم بأهل البِر منكم**». **فقالوا: بِمَ نُسمّيها؟ قال: «سمّوها زينب»** رواه مسلم[1].

فهذه نماذج من أحاديث في تغيير الأسماء والألفاظ القبيحة أو المكروهة إلى أسماءٍ وألفاظ حسنة؛ وقد يكون لأسباب شرعية كوجود تزكية في الاسم أو خوف التطيّر أو غيرها، فإذا وجد مانع شرعيّ للتسمية باسمٍ أو الاصطلاح على لفظٍ أو مصطلح فيجب تغييرها ويكون التغيير أوجب كلّما كان معنى اللفظ أو المصطلح مغايراً لمفاهيم الإسلام ومقاصد الشريعة الإسلامية وبذلك يعتاد اللسان على خير الكلام وأقومه وأصفاه وأكثره ملائمةً لإرادة ربّ العباد، ولقد أحسن الذي يقول:

عَوِّد لسانك قول الخير تحظَ بـه ... إنّ اللسان لما عـوّدْتَ معتـاد[2]

فالأوْلى بنا أنْ نغيّر أسماءً ومصطلحات غريبة عن ديننا بأخرى أثبتتْها الشريعة وأيّدها الوحي، فنغيّر من مثل الديمقراطية إلى الشورى، والاشتراكية إلى القسط والعدل والأصولية إلى التديّن الحق وهكذا.

٤ - إشاراته (ﷺ) إلى أنّ قوماً يأتون بعده سيعبثون بالمسميّات ويغشّون في الدلالات، كما جاء في الحديث: «**لَيشرِبَنَّ أقوامٌ من أمتي الخمر، يسمّونها بغير اسمها**»[3].

---

(١) الإمام محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي: **شرح صحيح مسلم**. كتاب الآداب/باب: استحباب تغيير الاسم القبيح إلى حسن وتغيير اسم برة إلى زينب وجويرية. الحديث رقم (٢١٤١). المجلد السابع، ٢٤٥. والإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: **فتح الباري شرح صحيح البخاري**. كتاب الأدب/ باب (١٠٨) تحويل الاسم إلى أحسن منه. الحديث رقم (٦١٩٢)، المجلد العاشر، ٧٠٥.

(٢) ورد هذا البيت في كتاب: البستي، الإمام الحافظ أبو حاتم محمد بن حيان (ت ٣٥٤هـ): **روضة العقلاء ونزهة الفضلاء**. تحقيق وشرح: محمد محي الدين عبدالحميد وآخران. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، د.ط، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م. ٥١.

(٣) الإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: **فتح الباري شرح صحيح البخاري** . كتاب الأشربة/ باب: ما جاء فيمن يستحلّ الخمر ويسميه بغير اسمه. الحديث رقم (٥٥٩٠)، المجلد العاشر، ٦٥.

وهذا منهج الذين سمّوا الربا فائدةً، وجعلوا سبّ الدين تنويراً، والاستباحة حريةً، والتعرّي فنّاً، والزنا حريّة شخصية وهكذا[1]. وقد فطن إلى هذه الحقيقة الكثير من العلماء ونبّهوا إليها، فيقول ابن حزم في مقدمات كتابه (الإحكام) عن تحديد المصطلح وخطورته: «هذا باب خلط فيه كثير ممن تكلّم في معانيه، وشبك بين المعاني وأوقع الأسماء على غير سمّياتها، ومزج بين الحق والباطل فكثر لذلك الشغب والالتباس، وعظمتْ المضرّة وخفيَتْ الحقائق. ونحن إنْ شاء الله تعالى بحوله وقوته مميّزون معنى كلّ لفظة على حقيقتها..»[2].

إذنْ ألم يأن الأوان لأنْ نفعل مثلما فعل ابن حزم منذ ألف سنة حين شمّر عن ساعديه فقام مميّزاً في معنى ومفهوم كل لفظٍ ومصطلح ليبين الحقيقة فيه معتمداً على مشيئة الله سبحانه؟! ألا ترى أن ما واجهه ابن حزم من ألفاظ أهل النظر والكلام قد دفعه إلى هذه الالتفاتة المنهجيّة المهمة، ونحن اليوم نواجه أضعاف ما واجهوه في القرون المنصرمة؟!

ثم رجوعاً إلى الحديث الشريف أليس هذا نبوءةٌ معجزة وقد أمطرنا ألفاظاً ومصطلحات ما أنزل الله بها من سلطان، فتارة يسمّوننا العالم الثالث، وتارة الشرق الأوسط، وتارة أخرى الدول النامية، وتارة بالشعوب الفقيرة، وهم يطلقون على أنفسهم العالمية والدولية فيما يؤسِّسون له من أفكار، ونحن نستخدم ما يقولونه إما رهبةً أو رهبةً، أو قُلْ من حيث ندري أو لا ندري نساير التيار الجارف القادم من الغرب.

٥ - عن جابر عن النبي ﷺ حين أتاه عمر فقال: **إنّا نسمع أحاديث من يهود تعجبنا أفَتَرى أن نكتب بعضها؟ فقال: «أمتهوّكون أنتم كما تهوّكت اليهود والنصارى؟ لقد جئتكم بها بيضاء نقية ولو كان موسى حياً ما وسعه إلا اتباعي»** رواه أحمد والبيهقي في كتاب شعب الإيمان. وحسّنه الألباني في مشكاة المصابيح كتاب الإيمان الفصل الأول.

(١) عبد السلام البسيوني: **الغزو المصطلحي**. ٣٦

(٢) الإمام أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (ت٤٥٦هـ): **الإحكام في أصول الأحكام**. منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م. الجزء الأول، ٣٥.